الرّاكِبُ وَالحقيبة

قصة بقلمي
نصار عبد الله
وعبد الحميد عسكر

فوجيء الراكب ذو الحقيبة الضخمة المنتفخة بأن الاوتوبيس كان خاليا تماما .. قال بصوت مسموع « لعل الاوتوبيس ذاهب الى الكاراج » . قال الكمساري « لا يا سيد ، الاوتوبيس شغال » ...

ـ تكن هل هذا هو خط ٣٠.٣٠ حقا ؟

ـ « نعم ، هو يا سيد » .

ـ شيء عجيب ، لم يسبق له ان كان خاليا في هذه المحطة وفي هذا الوقت بالذات .

قال الكمساري بضيق : « حظك يا سيد » .

أجال الراكب نظره في المقاعد الخالية ، ثم اختار لنفسه مقعدا مفردا بجوار الشباك .. قام بعد برهة وجلس على كرسي آخر مزدوج .. وضع ساقا على ساق ودفع بكل ظهره على المسند ثم أسند كوعيه ايضا .. ملأه احساس بالارتياح المشوب بعدم التصديق ... أمعن في استغلال هذه الفرصة النادرة فرفع الحقيبة ووضعها على الكرسي الخالي بجواره .

... العطاء الكثير يشجعنا على الاخذ . أننا نزهد فقط عندما لا نجد . ها أنت ذا يا راضي قد وقرت على نفسك أجر التاكسي بعد ان كنت تهم بأخذه . أنت تحس الآن براحة مضاعفة ... ولاحت على وجهه ابتسامة عريضة .

* * *

... كان الاوتوبيس قد هدأ من سرعته استعدادا للوقوف على المحطة التالية ، عندما قال الكمساري مداعبا : « تبدو هذه الحقيبة كما لو كانت تحمل جثة قتيل » . قال الراكب : « هل تحب ان تقطع له تذكرة الى جهنم ؟ » . قهقه الكمساري بأعلى صوته وقال : « لا داعي ، سوف نتركه أكراما لك » . ضحك الراكب في شيء من التحفظ .

* * *

امتلأت جميع المقاعد الخالية في المحطة التالية .. ولم يجد أحد الركاب مكانا .. اتجه الى الكرسي الذي شغلته الحقيبة .. نظر اليها ثم الى الراكب الجالس بجانبها .. نظر اليه الاخير في شيء من اللامبالاة .. همّ الواقف بالكلام ، لكنه احجم لسبب ما ، وظل واقفا صامتا وهو يطيل النظر ناقلا عينيه بين صاحب الحقيبة وبين الحقيبة .. اتجهت انظار الركاب اليهما .. مال احد الجالسين الى اذن الجالس بجواره وراح يهمس ، وهز الآخر رأسه هزات قصيرة متتابعة ، ثم عاد الاثنان يتابعان باهتمام الراكب والحقيبة ، الحقيبة الجاثمة فوق الكرسي والراكب الواقف الذي كان لا يزال يحدق ناقلا عينيه بين الحقيبة والجالس بجوارها .

لاحظ الكمساري همس الراكبين . نظر الى الراكب ذي الحقيبة فبادله النظر متصنعا التجهم . همّ الكمساري بالكلام لكن شيئا ما في وجه الراكب الواقف جعله يؤثر الانتظار .

* * *

في المحطة التالية صعد عدد كبير من الركاب .. تجمعوا حول الراكب الواقف الذي لم يكن قد قطع صمته بعد .. نظروا الى الراكب ذي الحقيبة فنظر اليهم مبالغا في تصنع التجهم .. تبادلوا النظرات .. ترك كل واحد منهم لغيره المبادأة بأن يقطع الصمت .. لكن أحدا لم يفعل .

* * *

سرت موجة من الهمس داخل الاوتوبيس .. طرقت اذن الراكب ذي الحقيبة بعض الكلمات المتناثرة بين الشفاه والآذان : « جثة قتيل ... مخدرات ... الرجل الواقف مخابرات ... من اعضاء الحركة الاخيرة الفاشلة .. اوراق سياسية .. اسلحة .. مفرقعات .. لن انزل من الاوتوبيس حتى ارى ما يحدث .. هيا بنا ننزل يا سلامة ... اصبر يا رجل » .

أحس بسرور خفي .. شيء ممتع ان تكون يا راضي كيلاني موضوعا لحديث كل هؤلاء الناس .. تسللت الى وجهه ابتسامة ما كادت تتسع حتى تذكر ، فعاد الى تصنع التجهم .

* * *

قبيل المحطة التالية ، وبعد أن تبادل الكمساري الكلام مع السائق ، وقف الاوتوبيس فجأة . وقال الكمساري بصوت مرتفع :

« الاوتوبيس عطل يا حضرات ، تفضلوا خذوا غيره » .

... أحس بنوع من الضيق والاحباط ... العز لا يدوم يا راضي ... كنت تجلس بينهم كما يجلس المشهورون ، بل واكثر من المشهورين ، كنت تجلس كأنك ملك ... عليك الآن يا استاذ ان تقطع الثلاث محطات الباقية بأية طريقة .

* * *

عندما فطن الى ان بعضهم يتبعه سار متثاقلا ثم اسرع فجأة محاكيا حركات المطاردين والمقتفي اثرهم الذين يراهم في الافلام ... أحس بهم يسرعون خلفه وقد انضم اليهم آخرون من عابري الطريق .

... تسلية أخرى يا راضي سوف تستمتع بها .. وفي اللحظة المناسبة سوف يكتشفون كل شيء ..

ضحك في سره وهو ما يزال يسرع في سيره ... كان دبيب الاقدام قد اصبح اكثر عنفا وتكددسا .. زايلته شجاعته فجأة واضطربت خطواته .. لا بأس ، سوف تستدير اليهم قائلا : ماذا تريدون ؟ وعندما يعرفون الحقيقة سوف يمضي كل منهم الى شأنه . حاول الوقوف فلم يستطع ... بدأ يجري .. أحس بهم يعدون وراءه .. أدركوا به أسرع مما كان يتصور . حاول الكلام فألفى لسانه قد تخشب في فمه .. سقط تحت الحشد المتدافع .. صدر عنه صوت متحشرج أشبه بالعواء .. راح يدفعهم عنه بكلتا يديه في يأس واستماتة .. انهالت عليه الضربات والركلات العنيفة .. انفتحت الحقيبة وتبعثرت محتوياتها على الارض .. داست الاقدام على الغيارات الداخلية المتناثرة من الحقيبة ... امتزجت بالدم النازف من رأسه وصدره .

* * *

حين سكنت انفاسه تماما .. امتدت يد أحد الخيرين الى بطانية من محتويات الحقيبة المفتوحة وغطى بها الجثة الهامدة .

* * *

في قسم الشرطة كانت البيانات التي تم تسجيلها تذكر ما يلي :

اسم المجنى عليه : راضي كيلاني عبد الصبور .

العمل : موظف .

الحالة الاجتماعية : أعزب .

اما اقوال الشهود (او المتهمين) فلم تخرج جميعا عن هذه العبارة :

ـ لا أعرف عنه شيئا .. كنت سائرا في الطريق حين رأيت الحشد المتجمع ، فمضيت اليه لاعرف ما الخبر .

بل وحتى الكمساري نفسه ، وكان من بين المقبوض عليهم ، قال :

ـ تعطل الاوتوبيس فجأة فنزلت لاشم الهواء النقي حين لمحت على البعد حشدا من الناس وقد أحاطوا بشخص ما .

ـ وهل تذكر أحدا منهم ؟

ـ كلا ، لا أذكر !

رأس البر نصار عبد الله عبد الحميد عسكر